# الغزو البرتغالي للخليج العربي

اتسمت الكتابات الفرنسية عن بدايات الغزو البرتغالى للخليج العربى بشحتها أو حتى نستطيع الجزم بانعدامها سواء اكان ذلك فى الوثائق الفرنسية (عدا وثيقة واحدة) أو في كتب الرحلات والواقع لا توجد اى صعوبة تواجه الباحث فى تفسير هذه الظاهرة فهى ولا شك تعود الى دخول الفرنسيين المتأخر فى ميدان الصراع والمنافسة الاستعمارية الاوربية فى المحيط الهندى بشكل عام وفي الخليج العربي بشكل خاص قياسا الى بقية الدول الاوربية الاخرى كالبرتغاليين والهولنديين والانجليز ، غير ان عدم وجود وثائق ومصادر فرنسية معاصرة لبدء الغزو البرتغالى للمنطقة لايعنى استمرار هذه الحالة لاحقا . اثناء فترة الاحتلال البريطاني لجزر ومدن عديدة في الخليج العربي واقامتهم فيها حاميات وحصونا عسكرية ، فقد جاب المنطقة وبخاصة فى القرن السابع عشر العديد من الرحالة والبعثات الدينية التبشيرية الفرنسية تمخض عنها صدور كتب وضعت عن سير تلك الرحلات ووصف للمدن الواقعة تحت سيطرة البرتغاليين وتجارتهم وتعاملهم مع السكان والتحالف الانجليزى الفارسي لاخراجهم من هرمز ومن ثم طردهم من قبل اليعاربة من آخر حصونهم فى الخليج العربي وتتبعهم الى شرق افريقيا والهند .

# من خلال المصادر الفرنسية

**بقلم الدكتور صادق ياسين الحلو**

وتأتى بالمرتبة الثانية الرحلات والكتب العادية التى صدرت فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر وتأتى فائدتها من قربها زمنيا الى فترة الوجود البرتغالى كما يركز بعضها على التحليل الاجتماعى لاسباب ضعف النفوذ البرتغالى وتدهوره ، ويتناول الآخر بالتفصيل مقاومة اليعاربة العمانيين لهم في شرق افريقيا والهند .

اما الكتب المعاصرة والاطروحات والدوريات فتتصف بقلتها ولا يوجد كتاب أوبحث متخصص عن الغزو البرتغالى للخليج وانما يتم التعرض لذلك من خلال دراسة الخليج ـ العربي او المحيط الهندى في الفترة موضوع البحث ، كما ان ما تذكره هذه المصادر يكرر ماروته المراجع والمصادر السابقة دون تحليل أو اضافة .

ولأجل اعطاء صورة واضحة وتغطية شاملة لماورد من نتف عن الغزو البرتغالى للخليج العربي فى المصادر الفرنسية قسم الموضوع حسب قدم التسلسل الزمنى لفترة الرحلة وسنة طبع الكتاب .

## ● وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

توجد وثيقة واحدة فقط ضمن وثائق وزارة الخارجية الفرنسية تحت عنوان : بحوث ووثائق فارس ، الجزء ٨ .

تتعرض للوجود البرتغالى في الخليج العربي فى بحث كتبه مجهول بعنوان تفصيل العلاقات بين فرنسا وفارس ( ١٦٠٥ الى ١٧٢٤ ) وجاء فيه :

بأن جزيرة هرمز كانت تحت حكم احد الشيوخ العرب وجعل منها مركزا تجاريا بين شبه الجزيرة العربية وفارس والهند حتى وصول البوكيرك الى الخليج وسيطرته على الجزيرة وعلى مسقط وكرك وقشم والبحرين حيث كان يصاد اللؤلؤ الجيد هناك ويصف البحث تصرف البرتغاليين مع السكان بالفظاظة والغباء ويشير بعدها الى كيفية طرد البرتغاليين من هرمز عام ١٦٢٣ بتحالف الانجليز الذين تعهدوا باعداد السفن مع الفرس الذين كان عليهم اعداد الجيوش البرية ويعتبر البحث سقوط هرمز نهاية لامبراطورية البرتغاليين في الهند ويذكر طرد البرتغاليين من مسقط على يد أحد القادة العرب لكنه يخطىء فى التاريخ فيحدده بعام ١٦٤٩م ويشير هذا البحث الى ان السيادة فى الخليج بعد هذا التاريخ اصبحت للعرب .

## ● الغزو البرتغالى للخليج العربي من خلال المصادر الفرنسية فى القرن السابع عشر :

شهد القرن السابع عشر كثرة الرحلات الفرنسية الى الهند وفارس والعراق والخليج العربي غير أن قسما من الرحالة لم يسلك طريق الخليج العربي عند ذهابه الى الهند وانما سلك الطريق البرى عبر تركيا وشمال ايران وروسيا لذا جاءت رحلاتهم خالية من المعلومات التى تتعلق بالوجود البرتغالى فيه بشكل تفصيلى وأهم الكتب والرحلات التى تناولت الاحتلال البرتغالى في الخليج فى هذا القرن الاتى :

## ● رحلة الشرق تأليف فيليب ر . ب :

بدأ فيليب رحلته عام ١٦٢٩ ووصل الى البصرة فى عام ١٦٣١ ووجد في ذلك الوقت أسطولا برتغاليا تجاريا مؤلفا من خمس وعشرين سفينة تحمل بضائع متنوعه ويذكر فيليب ان البرتغاليين وجدوا صعوبة فى تصريفها كما واجهوا ضغوطا من حاكم فارس الذي طالب المتسلم : العثمانى بتسليم احد البرتغاليين الفارين الى البصرة ، وكان البرتغاليون يحرسون سفنهم بيقظه وعملوا بسرعة فائقه وشحنوا سفنهم بالتمور وغادروا المدينة فى ٤ تشرين الثانى .

زار فيليب بعدها جزيرة لارك فى نفس العام (١٦٣١) والتقى هناك كما يقول ( بالاسطول الحربى البرتغالى وهو راس فى الجزيرة ويقوم بمنع كل القوارب الصغيرة التى تريد الخروج لصيد اللؤلؤ من جزيرة نخيلو دون إذن من البرتغاليين لذلك ذهب

معظمهم الى جزيرة قيس تخلصا من الرقابة البرتغالية غير ان الرحالة الفرنسي لم يقدم اى وصف لسفن الأسطول البرتغالى الحربى أو أعدادها أو نوعية تسليحها .

سافر فيليب الى الأحساء والقطيف ووصف تجارة البرتغاليين مع هذه المنطقة فذكر ! ان السفن البرتغالية التى تأتى مرتين خلال السنة للمتاجرة كما هى الحالة فى البصرة ، تبيع بضائع الهند ويشترى ـ البرتغاليون من القطيف التمور ، وبعض الفواكه الأخرى ، والسجاد وأشياء أخرى وينقلونها الى الهند ، كما يشترون ويشحنون بشكل رئيسي من القطيف الخيول العربية المشهورة بأصالتها وتستثنى عشرة منها من ضرائب الكمارك ) .

والمنطقة الأخرى التى زارها كانت مسقط التى اعتبرها : (أقوى مكان للبرتغاليين حيث يوجد فيها قلاع محصنة تحصينا قويا جدا ، والتى تحولت اليها تجارة هرمز بعد طرد البرتغاليين منها ، ولذلك كبرت كثيرا) ويقدم فيليب أيضا وصفا دقيقا لميناء مسقط وتحصيناته والمدفعية المثبتة فوق الجبال للدفاع عنه ويصف أيضا صحار التى فيها قلعة عسكرية للبرتغاليين ويتطرق الى وجود عدد من الجزر بالقرب من الخليج بالقرب من مسقط وتوجد جزيرة صغيرة جدا تسمى جزيرة القصر واطلق عليها هذا الاسم تخليدا لذكرى انتصار البرتغاليين على عدد من سفن الكاليرز التركية .

ويؤكد الرحالة الفرنسي ( المبشر ) بأن هرمز والمناطق الساحلية غربا وشرقا وبعض الجزر كانت تحت سيطرة احد الشيوخ العرب عند وصول الفونسودا البوكيرك وغزوها ، كما يذكر أنه في وقت زيارته للخليج كانت مسقط وقريات وصحار وخور فكان ودبا وغيرها ضمن الاحتلال البرتغالي وفيها حاميات عسكرية .

## ● حالة فارس في ١٦٦٠ تأليف رافائيل دومان ، باريس ١٨٩٠ مع مقدمة كتبها سيشفر :

جاء في المقدمة التى كتبها سيشفر استعراض وتتبع تاريخى لعلاقات فارس بأوروبا ومنها العلاقة مع البرتغاليين ونشاطهم في الخليج العربي ويبدأ بسرد العراقيل التى وضعها البرتغاليون امام السفير ( فكورا ) الذي أرسله الملك الاسبانى الى فارس عند وصوله الى كنوا عام ١٦١٤ وكانوا يغارون من رؤية الاسبان ولهم سفير فى احد بلاطات الشرق فأخروه ثلاث سنوات الى أن اضطر ، أن يستأجر فى الأخير سفينة على حسابه الخاص قامت بنقله الى فارس وتوضح المقدمة المعاملة السيئة التى كان يتلقاها تجار وموظفو شركة الهند الشرقية الانجليزية من البرتغاليين فى هرمز بعد انشاء مكتب لهم في بندر عباس عام ١٦١٣ .

غير أن أهم ما أسهب رافائيل فى

شرحه : قصة قرار شركة الهند الانجليزية بمهاجمة البرتغاليين فى الخليج العربي والمفاوضات والاتفاق الفارسي الانجليزي بهذا الشأن فيشير ( الى اجتماع عقد في نهاية عام ١٦٢٢م لهيئة الشركة بالقرب من سراة برئاسة توماس روستيل ، تقرر فيه ارسال خمس سفن واربع بوارج . الى الخليج العربي وأسر كل السفن التى تعود للبرتغاليين ونهب بضائعهم وأسر طواقمها وضرورة مهاجمة اسطول الاميرال روى فريرا حيثما تلاقيه السفن الانجليزية ويتعين على حاكم مقاطعة فارس التابع للشاه عباس تحريك جيوشه باتجاه هرمز عندما يعلمون بوصول السفن الانجليزية . ويتجه بها الى السواحل ) .

وفي ٢١ كانون الاول عقد اجتماع على ظهر السفينة الانجليزية جوناس هول وصاغوا الشروط التى طالب بها الموظفون الانجليز كثمن لتعاونهم مع الفرس لطرد البرتغاليين من هرمز وكانت على النحو الآتي :

١ ـ فى حالة الاستيلاء على قلعة هرمز تكون السيطرة للفرس فيها على ان تقسم الغنائم والمواد التجارية مناصفة بين الطرفين .

٢ ـ تعطى القلعة والمدفعية والذخيرة للانجليز ويبنى الفرس قلعة أخرى على نفقتهم .

٣ ـ واردات الكمرك يجرى تقاسمها بالتساوى بين الطرفين وتعفى المواد التجارية الانجليزية من الضرائب ويتسلم الانجليز الاسرى المسيحيين ويتسلم الفرس الأسرى المسلمين وأخيرا على الفرس ان يتحصلوا نصف نفقات الاسطول ورواتب طواقم السفن وتزويد الاسطول بالبارود والقنابل .

يتطرق بعد ذلك الى المفاوضات التى جرت بين الفرس والانجليز في ٨ شباط ١٦٢٢ بمدينة ميناب لعقد اتفاقية بينهما وقد أقر البند الاول دون اى تعديل . وطلب الفرس اجراء تعديل على البند الثانى لينص على ان يحتل الفرس والانجليز القلعة بشكل متساو وتستعرض المقدمة أيضا مواجهة البرتغاليين للفرس والانجليز فى هرمز وتعطي وصفا للاسطول البرتغالي الحربى فى هرمز الذي كان تحت الابحار والمؤلف من خمس كاليونات وعشرين فرقاطة فأضرم الانجليز النار بالسفينة سان بيير التي تبلغ حمولتها ١٥٠٠ طن ويستخدمها اميرال الاسطول بعد ان قطعوا صواريها وتركوها بهذه الحالة حيث تستطيع الرياح والمد أخذها .

ويستطرد سيشفر في المقدمة ليروى تفاصيل الهجمات التى قام بها الجنود الفرس ضد البرتغاليين واحراقهم لبراميل البارود تحت سور القلعة ولكن رغم كل ذلك لم يحققوا شيئا الى ان تقدمت قوات انجليزية ونجحت بايقاع الهزيمة بالبرتغاليين وركزت القوات المشتركة جهدها بعدئذ على السفن وبعد قتل عدد من البحارة والمدافعين اغرقوا سفينه قائد الاسطول روى فريرا وبذلك تلاشى الامل الذي بقي

عند المحاصرين من البرتغاليين الذين ظلوا يرون انفسهم سادة للبحار ، وبسبب الطاعون والجوع لم يستطع البرتغاليون الاستمرار في المواجهة فاضطروا الى ارسال رجلين من عساكرهم ليفاوضوا على شروط الاستسلام .

وتستمر المقدمة لسيشفر لتشرح سير المفاوضات بين البرتغاليين والانجليز فى ٢٣ نيسان حول الاستسلام وطلبوا الحفاظ على ارواحهم ونقلهم الى مسقط ، وفعلا نفذ الانجليز الطلب ونقلوا اليها ثلاثة الاف من البرتغاليين بعد ذلك تم اقتسام كل المدافع التى وجدت فى قلعة المدينة وقدر عددها بثلاثمائة قطعة . وهناك من يضاعف هذا العدد بينما اشار القسم الاخر الى وجود ( ٥٣ ) قطعة مدفع فقط منصوبة على قواعدها (ويبدو ان هذا الرقم هو الاقرب الى الصحة ) وكنتيجة لهذا التعاون حصل وكلاء الشركات الانجليزية والهولندية كبداية من الشاه الفارسى على فتح بيوت تجارية في أصفهان وتبريز وحصلوا على رخصة بأن يصنعوا فى المدينة الاخيرة الخمر وماء الحياة لحسابهم واخذوا يرسلون كميات هائلة من هذا الانتاج الى الهند .

وفي متن الكتاب يتطرق المؤلف رافائيل الى العقد الذي وقعة الفرس مع البرتغاليين لاعطائهم نصف واردات كمرك بندر كونج اضافة الى عدد من الخيول سنويا لكن حاليا ( ١٦٦٠ ) لعدم امتلاك البرتغاليين قوة مؤثره فى هذه السواحل اخذ الفرس يحاولون التملص من اعطائهم اى شيء من واردات الكمارك .

اما في الجزء الثانى من الكتاب فيوجد عدد من الرسائل تمتد الى سنوات اكثر من ١٦٦٠ التى كان يرسلها رفائيل الى الملك الفرنسي ورئيس وزرائه كولبير وتركز على علاقته مع الحكومة الفارسية وعن الوضع فى الخليج العربى ، وتوضح احدى الرسائل المؤرخة فى ٢٠ آب ١٦٧٠ الهدف من انشاء دار للاوغسطينيين البرتغاليين فى فارس وذلك كما تقوله الرسالة لخدمة ومساعدة رعايا الملك البرتغالي الذين يتاجرون مع هذا البلد ) وتسترسل نفس الرسالة لتوضح الاتفاقية مع فارس حول ميناء كونج وتعهد البرتغاليين بتشجيع التجار على المجيء اليه وجلب البضائع على شرط ان يوافق الشاه الفارسي باعطائهم نصف واردات الكمارك ثم تبين الرسالة مقاومة عرب مسقط البحرية ومهاجمة سفن البرتغاليين في اشتباكات متعددة حيث اصبح المسقطيون اقوياء ومخيفين فى البحر .

## ● توماس هربرت ، قصة سفره لفارس وجزر الهند الشرقية باريس ١٦٦٣ .

يروى حكاية قبطان احدى السفن البرتغالية المسمى رودكوك الذي

حصل على ثروة كبيرة وواجهه سوء الطالع عندما قرر الانسحاب بفرقاطته المشحونة بالاموال واللؤلؤ ، وكمية من النقود تصل الى مليون اكرس ولكنه لم يتمتع بهذا الكنز لفترة طويلة فغرقت سفينته المسماة البالين في عمق ميناء ساولى .

ولا يوجد في الكتاب اية معلومات اخرى ذات قيمة تاريخية .

## م . د تيفنو ، رحلات تيفنو ، باريس ١٦٨٩ :

تنبع اهمية هذا الكتاب من ان مؤلفه زار المنطقة عام ١٦٣٨ في وقت كان الاحتلال البرتغالى لبعض المناطق في الخليج العربي لا يزال قائما ويتألف الكتاب من أربعة أجزاء .

ففي الجزء الثاني من الكتاب يذكر الرحالة الفرنسي ، ان للانجليز موظف كمرك فى بندر عباس ، ويجب على الفرس نظريا ان يدفعوا نصف واردات الكمارك لهم كثمن لمساعدتهم بالاستيلاء على هرمز من البرتغاليين لكنهم في الواقع لا يتسلمون الا الربع .

ثم زار هرمز ورأى وجودا عسكرياً كان البرتغاليون قد بنوه عند احتلالهم الجزيرة ، ويرى ان خسارتهم لهرمز ترجع الى خطأ الحاكم البرتغالي فيها ، الذي كان واثقا بامكانياته ، ولم يقبل النصح والمشورة من اى شخص .

وعندما وصل الى ميناء كونج وجد وكيلا لملك البرتغال فيها واسمه مانوئيل منديز هزبيك .

ويذكر سيشفر بعض الاعمال الوحشية التى قام بها البرتغاليون ضد سكان المنطقة فيقول ( ذكر سكان جزيرة ريشير بالقرب من كيرك بان سكان هذه المدينة قتلوا فى الماضي رجلا برتغاليا ، بسبب قيامه بعمل سيء فما كان من البرتغاليين الا ان ارسلوا فى وقت لاحق سفينة برتغالية بقيادة الاميرال روى فريرا اندريد .

فأخذ طفلا من والدته ووضعه امام مدفع وأجبر والده وامه على اطلاق النار عليه وقتله . وبهذه الطريقة الفظة كانوا ينتقمون من سكان السواحل . عندما يتعرضون لما لا يسرهم ولا يزال اسمهم حتى الان مرعبا جدا بين السكان في هذه المناطق وبسبب هذا العمل الاجرامى ترك اعداد كبيرة من السكان تلك الجزيرة تخلصا من المعاملة البرتغالية السيئة .

وكان الشاه الفارسى عند زيارة تيفنو لميناء كونج لا يزال عليه رسميا ان يدفع نصف ضرائب وارداتها من الكمارك وخمسه خيول سنويا الى الملك البرتغالى الذي فرض ذلك بفضل سفنه التى تجوب السواحل الفارسية . لهذا فللملك البرتغالي مكتب في الميناء يرفع العلم البرتغالي ويوجد ايضا عدد من الاباء الأوغسطينيين البرتغاليين ولهم دار وكنيسة خاصة بهم .

ولعل تيفنو يعتبر خير شاهد عيان على تأزم العلاقة بين وكيل الملك البرتغالي مانوئيل منديز هزبيك والسلطات الفارسية لعدم التزام

الفرس بدفع حصة البرتغاليين من واردات الكمارك بشكل مضبوط فذكر ( خلال وجودنا على ظهر السفينة مقابل كونج ترك وكيل الملك البرتغالي مكتبه فى الميناء حتى يدلل على نقمته وعدم رضاه على رجال الكمارك الفرس الذين لا يريدون ان يدفعوا له كل ما هو من حصة ملك البرتغال من الكمارك لهذه السنة والسنة الماضية . ومن اجل ذلك فانه قرر الذهاب الى عمان ومنها الى كوا حيث سيشرح الوضع لنائب الملك ( البرتغالي ) ، حتى يسمح له بالعودة مع سفينتين مسلحتين لينهب كل ما يستطيعه من كونج لذا فقد انسحب الى السفينة مع ثمانية من رجاله مع أربعه خيول وترك في كونج نائب وكيل وكاتبا وامر وكيله بان لا يرى رجال الكمارك أو يتسلم اى شيء منهم حتى تصله أوامر جديدة من الهند ).

## ● ثافرينيه ( ج . ب ) ( الرحلات الست لجون باتبيت ثافرينيه خلال تركيا الى فارس وشرق الهند نقله الى الانجليزية م . ب لندن ١٦٧٨ .

ابتدأت رحلاته عام ١٦٣٨ وتكررت في ١٦٤٤ و ١٦٦٣ ، ولم نستطع الحصول على النسخة الفرنسية فتمت الاستعانة بالنسخة الانجليزية المترجمه اكد ثافرينيه فى رحلته التى قام بها عام ١٦٣٨ فى الجزء الثاني من كتابه نفس ماذكره الرحالة الفرنسيون السابقون بخصوص أخذ الملك البرتغالي لنصف واردات الضرائب في كمرك كونج .

ومن الروايات الطريفة في الجزء الرابع من الكتاب ان البرتغاليين بعد احتلالهم هرمز ارسلوا ولدى ملك هرمز الى أسبانيا وهناك عاملهم الملك الاسبانى بلطف واعطاهما سكنا لائقا وعمل لهما جولة فى اسبانيا وزارا الاسكوريال وسألهما بعد ذلك عن انطباعاتهما عن هذه الزيارات وعن التدخل البرتغالى في شؤون أهل المنطقة يقول ثافرينيه في الجزء الثانى من رحلاته ( عند احتلال البرتغاليين لهرمز ومسقط كانت كل طراده ( سفينة ) تذهب الى الصيد مجرد ان تأخذ منهم اذن مرور ويكلف ذلك خمس عشرة ابارس وكانوا يغرقون كل واحدة لا تحصل منهم على ذلك الاذن ، وقد تغير هذا الوضع وضعفت السيطرة البرتغالية بعد ان سيطر العرب على مسقط .

وتوجد في الجزء الخامس من رحلات ثافرينيه معلومات عن هرمز واحتلالها ودورها التجارى وقت الاحتلال البرتغالي .

## ● مارتن ، فرانسوا مذكرات فرانسوا مارتن مؤسس بوندشيرى ١٦٦٥ ـ ١٦٩٤ باريس ١٩٣١ ـ ١٩٤٣م ٣ أجزاء :

يعطي مارتن فرانسوا في مذكراته في الجزء الاول وصفا حيا لتصدي

عرب مسقط للسفن البرتغالية فى المياه العربية وفى المحيط الهندى وذلك من خلال احدى سفراته من سراة الى بندر عباس في مايو ١٦٦٩ فيقول ( انه عندما عبر رأس الحد فإن سفينته تقاطعت مع اسطول مؤلف من اثنتى عشرة الى خمس عشرة سفينة . وتلك السفن هى لعرب مسقط مسلحة بأسلحة الحرب من اجل الذهاب لمواجهة اساطيل البرتغاليين الذين هم في حالة حرب معهم ، ويوجد بين هذه السفن العربية ما تصل سعته بين ٣٥ الى ٥٠٠ طن ، وفعلا واجهت سفنا لتجار أثرياء متعاونين مع من كانوا يتعاونون مع البرتغاليين ذاهبة الى البصرة وعند ارسائها امام مسقط سيطر عليها العرب وانزلوا حمولتها وتم تسليحها وضمت الى سبع أو ثمان سفن صغيرة كانت عائدة لهم .

وبظهور البرتغاليين سواء كان في الهند او سواحل افريقيا الشرقية عملوا على وضع عقبة امام النشاط البحرى العمانى . وشهد النصف الثاني من القرن السابع عشر عنف التنافس الحاد بين الخصمين فتزايدت الصدامات بين البحارة البرتغاليين والعرب . وكانت جرأة ومهارة الاخيرين هى الغالبة دائما ) .

## ● كاريه (م.) رحلات جزر الهند الشرقية باريس ١٦٩٩ .

تمت رحلة كاريه عام ١٦٧١م ويتعرض فى رحلته بشكل مقتضب الى سيطرة البرتغاليين على هرمز وغزوهم للمناطق الاخرى ويشير بشكل عابر الى ثورات العرب ضدهم ويخلص الى ان البرتغاليين لم يتركوا اثرا سوى بعض القلاع والحصون العسكرية التى لا تزال بعض آثارها ( عند زيارته ) لها باقية .

## ● كوديرو قصة الشاه سليمان ملك فارس وتتويج السلطان حسين باريس ١٦٩٦ :

وصل كوديرو الى فارس عام ١٦٩٤ بصحبة سانسون الى البلاط الفارسى وهناك عرف بمهاجمة عرب مسقط للوكالة البرتغالية فى ميناء كونج في شباط عام ١٦٩٥ ويعتبر هذا الحادث علامة على ازدياد وتصاعد : القوى العربية البحرية فى الخليج حيث كتب سلطان مسقط الى الشاه رسالة ، ( لم يطلق عليه فيها لقب ملك ، وحدد فيها ثلاثة مطالب : الاول أن يسلمه كل البرتغاليين داخل فارس كشف بحساباتهم والثانى تسليمه أحد التجار العرب المشكوك في تجسسه لصالح البرتغاليين والثالث اعطاءه في كونج نفس الامتيازات التى منحها للبرتغاليين أي نصف واردات ضرائب الكمارك ) وبالمقابل تعهد الامام بتسيير عشرين باخرة لحراسة الخليج ) .

ولم يكتف امام عمان بالرسالة وانما هدد الشاه الفارسى في حالة عدم استجابة الشاه لهذا الطلب فإنه

سيقوم بمهاجمة بندر عباس واحتلالها .

## ● المصادر الفرنسية فى القرن الثامن عشر عن الغزو البرتغالى للخليج العربي :

على الرغم من وجود كتب رحلات فرنسية فى القرن الثامن عشر الى تركيا وفارس والهند كرحلة اوثر في تركيا وفارس .

ورحلات فواليت رسول شركة المسيح . فانهما لم يتطرقا الى الغزو والاحتلال ونهايته فى الخليج العربي . والكتاب الوحيد المنشور بالفرنسية والمترجم اليها في القرن الثامن عشر ويتطرق بشكل مقتضب لا يتعدى بضعة سطور عن البرتغاليين وغزوهم للخليج وطرد العمانيين لهم منه هو كتاب نيبور ( وصف العربية ) .

فجاء فى وصفه عند زيارته لهرمز ( ان البرتغاليين احتلوها فى عام ١٥٠٨ ولا يزال يشاهد فيها كنيستان بنيتا من قبلهم وتستخدم احداهما الان كحانوت . والاخرى يقيم فيها الحاكم ، ولكن بعد ١٥٠ سنة من وصولهم الى مسقط طردهم منها العرب ومن كل المنطقة لاحقا ) .

## ● المصادر الفرنسية في القرن التاسع عشر والغزو الفرنسي للخليج العربي :

تصاعد اهتمام الفرنسيين بمنطقة الهند والخليج العربي فى القرن التاسع عشر وكانت بدايته فترة منافسة بينهم وبين الانجليز لاقامة العلاقات مع قواته المحلية ولاستغلال خيراته ، وشهدت كذلك نهاية القرن تزايدا في التنافس الدولى على منطقة الخليج العربي ، ومن هذا نرى تزايد الرحلات والكتب الفرنسية كنتيجة لذلك الصراع وتلك المنافسات .

## ● وأهم المصادر الفرنسية في هذا القرن هى : دوبريه ( رحلة في فارس ) :

تناول الغزو البرتغالى لهرمز فى الجزء الثاني ولو بشكل مختصر ونص ماذكره دوبريه حول ذلك :

( بأن هرمز كانت تقوم بتجارة زاهرة وتتمتع بالسلام عندما هاجمها البوكيرك ، وطلب من الحاكم العربي فيها دفع الضريبة للملك البرتغالي وان يكون تابعاله ، فرفض الحاكم العربي هذا الطلب وحصلت معركة بين الاسطولين العربي والبرتغالي المتفوق في كثافته الناريه وعلى الرغم من التفوق البرتغالي ظل الحاكم العربي في هرمز ينتهز اى فرصة للتخلص من الحكم الاجنبى ) .

ولا يختلف كثيرا عن المصادر السابقة في ذكر التعاون الانجليزى الفارسى ضد البرتغاليين واخراجهم من هرمز .

## ● جيان ( م . ) وثائق عن تاريخ وجغرافية وتجارة افريقيا الشرقية الجزء الثاني ، القسم الاول، باريس ، ١٨٥٧ .

مؤلف هذا الكتاب احد ضباط البحرية الفرنسية الذي زار سلطان مسقط فى زنجبار وبعدها زار مناطق الخليج فى طريقه الى الهند فى نهاية النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، يبدأ أولا بعرض تاريخى لبداية ظهور الاسطول البرتغالي بقيادة الفونسو دالبوكيرك فى مياه الخليج العربي ، ويؤكد حقيقة ان كل المدن البحرية الساحلية كانت تابعة لسلطان هرمز وبعضها كان له فيها حاميات عسكرية ويدير السلطة فيها حكام يتم اختيارهم من قبله .

ثم يشرح استيلاء البوكيرك بشكل متتابع على مدن قلهات وقريات ومسقط وصحار وخورفكان وفرضه على تلك المدن دفع ضريبة سنوية كما كانت تفعل من قبل مع سلطان هرمز ، وبعد ثمان سنوات من بدء الاحتلال البرتغالي حصلت ثورة فى هرمز ضد البرتغاليين ويروى جيان كيفية مواجهتها فيقول ( حوصرت الجزيرة من قبل الاميرال البرتغالي في الهند وخضعت بشكل نهائى لسلطة نائب الملك البرتغالي في الهند دوم عمانوئيل واصبحت كل الممتلكات التابعة لهرمز تحت ادارة المحتلين الجدد ) .

ويذكر جيان ( أن قلهات . ومسقط وصحار عين فيها البرتغاليون وكلاء اهتموا بالمصالح التجارية وبواردات الكمارك ، ولم يكن لهذه المناطق اهمية سياسية لهم حتى بداية القرن السابع عشر ، ولذلك لم يحتلوها عسكريا ما عدا مسقط ) .

ويذهب جيان بعيدا في المغالاة حين يعتبر مسقط غير مهمة عسكريا وسياسيا للبرتغاليين فيقول ( حتى هذه المدينة يقصد مسقط ) لم يهتم البرتغاليون بوضع دفاعات مهمة عنها الا بعد ان سيطر عليها الاتراك مؤقتا مرتين في ١٥٥٢ و ١٥٨١م ، ثم حوصرت من الاسطول ، التركي بقيادة بيري ريس ، والامير باى على وفي عام ١٥٨٨ استرجع نائب الملك البرتغالي مونوئيل دوسوزا كوتينو الحامية التى لا نزال نلاحظ آثارها الى ايامنا هذه ( ايام جيان ) .

ويرى جيان في طرد البرتغاليين من هرمز أنه ادى الى ضعف قوتهم فى الخليج فركزوا امكانياتهم على دعم الاماكن التى في حوزتهم وهى مسقط ولتأمين الاحتفاظ بهذا المكان الذي يأخذ منه البرتغاليون المواد الغذائية ويزودون اسطولهم بالمؤن ، لم يكتفوا بزيادة تحصيناتها بل سعوا ( دون جدوى ) الى انشاء علاقات صداقة مع السكان المحليين وعمل البرتغاليون من جانب اخر على فرض حاميات بالقوة حتى في الاماكن القليلة الاهمية الواقعة على الساحل بين رأس الحد ورأس مسندم وهكذا احتل البرتغاليون خلال هذه الفترة تباعا كلا

من مطرح ، وسيبو ، برقه ، كلبا ليبيدا ، ديبا اضافة الى حامية قلعة صحار التي كانت مسبقا بأيديهم منذ عام ١٦١٦ .

اما الحامية العسكرية البرتغالية فى مسقط فيقول عنها : ( في مسقط بضع مئات من البرتغاليين موزعين على حامية معزولة وكانوا ضعفاء جدا فى اخذ زمام الهجوم وأجبروا بفعل المقاومة العربية ان يبقوا محصورين داخل أسوارهم ) .

ينتقل جيان الى المرور سريعا على عمليات تحرير الساحل العمانى من قبل اليعاربة في عهد الامام ناصر بن مرشد فيذكر ( لم يبق ايا منهم ـ البرتغاليون ) في عهده داخل أسوار مسقط .

وعند وصول الامام الجديد سلطان بن سيف بن مالك بدأ الحرب ضد المتبقى من المسيحيين ( كما يسميهم جيان ) وقد سيطر على مسقط ولم يتوقف عن مقاتلتهم ( على الارض وعلى البحر وحرر معظم اجزاء بلاده مدمرا قسما كبيرا من حصونهم ودمر الحامية التي كانت في داخل نزوى .

وتطرق جيان الى طرد البرتغاليين من مسقط اخر معاقلهم على ساحل عمان وانشاء سلطان بن سيف اسطولا يقي به الساحل من هجماتهم ولم يتأخر عن اخذ زمام المبادرة فى الهجوم على منشآتهم في الهند وساحل افريقيا . ويوضح جيان ان امام عمان سلطان بن سيف الثاني استجابة منه لنداء والتماس مبعوثين من قبل سكان ممباسه في سواحل افريقيا لتخليصهم من عبودية البرتغاليين أرسل اسطولا لمحاصرة تلك المدينة ) كما قام بتدمير ممباسه والعديد من السفن البرتغالية التى صادفها فى البحر وفي عهد حكم بلعرب عام ١٧٦٠ قام عرب مسقط بالنزول في ديو .

## ● كوبينو ( الكونت دو ) ثلاث سنوات فى آسيا ، باريس :

اهم ما جاء في هذا الكتاب عن الغزو البرتغالي للخليج العربي هو شرح لكيفية طرد البرتغاليين من مسقط وفيه تجن كبير على العرب وانحياز واضح الى جانب البرتغاليين ويبرر لهم هزيمتهم فيقول : باغت العرب البرتغاليين بالهجوم عندما كان العسكر البرتغاليون يحتفلون في احد اعيادهم الدينية ، حيث كانوا قد تركوا مواقعهم وكانوا راكعين امام مكان الانبثاق (إنبثاق روح الأب إلى الإبن).

ويصف كوبينو الكنيسة البرتغالية في مسقط التى زارها اثناء ذهابه فى سفارة الى فارس في النصف الثانى من القرن التاسع عشر بانها لا تزال باقية ولكنها قسمت فقط من الداخل وفيها عدد من الغرف وهى محل سكنى الان لاحد اقارب الامام ، واضاف كوبينو ان البرتغاليين انشأوا مراكز لهم على طول السواحل العربية مثل عدن ومسقط وهرمز .

## ● ريفوابر (دنيس دو) ابرك، مسقط، وبوشير، بصرة :

احسن ما يقدمة ريفواير وصف لبقايا الحامية العسكرية التي بناها البرتغاليون في هرمز عام ١٥١٥ واستخدموها كمكان لحفظ سلاحهم وقد تمت السيطرة عليها من الفرس والانكليز بعد حصار دام شهرين ونصف عام ١٦٢٢ ويقول ريفواير بان الحامية تتصف بصفات القلاع المحصنة في القرن السادس عشر ويلاحظ على الخندق الذي يفصل الجزيرة عن اليابسه بقايا جسر، والجهة الشرقية من الحامية هي الأكثر تحصينا ويدافع عنها بشكل مباشر بثلاثة ابراج لا يقل ارتفاع أى منها عن ١٤ مترا وكانت تحمي القصر الذي كان يشتمل على اقامة وسكن الحاكم والموظفين، وكان المد يغمر الثلاثة الأبراج الباقية اما الوجه الغربي للحصن فقد تآكل بقوة بفعل المياه. والان (وقت زيارته) لم يبق من قلعة هرمز التي هجرت بشكل كامل ما يدل على عظمتها سوى عدد من المدافع الجاثمة على عجلاتها غير الفاعلة.

وعند زيارته لمسقط ورؤيته للحصون والقلاع المهيأه للدفاع والتي بنيت في الجبال المشرفة على الميناء يطرح التساؤل التالي : كيف سمح جنود البوكيرك لانفسهم ان يطردوا من مكان حصين كمسقط وهم يملكون تلك الوسائل القوية للمقاومة، والنوعية العسكرية والمعرفة الاستراتيجية التي جعلت اسلحتهم مشهورة وذائعة الصيت بالقياس الى اعدائهم (يقصد عرب عمان) الذين يقلون عنهم في نوعية تسليحهم وسوء تنظيمهم.

وبعد ان ينتقد المصادر التى يصفها بانها بقيت خرساء لتفسير تلك الهزيمة يحاول ريفواير أن يرجعها الى اعتبارات اجتماعية صرفة كما يقول قياسا الى سقوط مستعمراتهم الحالية (في زمنه) ففي كل مكان ينزلون فيه تقريبا يتمثل البرتغاليون الجيش الذي يسيطرون عليه ويحتلونه ولا يقومون مطلقا برفع وتطوير معنويات ابناء المناطق المحتله أو تحسين حالتهم الاقتصادية بل على العكس يذهبون الى حد اعتماد اساليبهم واخلاقهم واحيانا حتى لغتهم، ووصلوا الى حد الاندماج مع سكان المناطق المفتوحة وجنودهم عندما تركوا بلادهم كانوا شبابا ولبقائهم فترة طويلة. في هذه المناطق المحتلة فقدوا كل ذكرياتهم عن اوروبا ودون ان ينتظروا منها موارد او انتفاعات بل بدأوا يبحثون عن ذلك بامتزاجهم مع تطلعات وآمال السكان المحليين، ونتج عن ذلك تزاوج وتهجين، وفي نهاية جيلين او ثلاثة لم تتغير فقط عادات المحتلين بل أخذ لسانهم (لغتهم) تتعرض الى التبديل بل التغير بشكل تام وحتى لون البشرة تغير ايضا وسيماء وجوههم التى اصبحت قسماتها لاتحتفظ ابدا بالجنس الأوروبى وبالتأكيد فإن قلب

هذا الجيل متأثر وشعوره لا يكون مع وطن لا يعرفه نهائيا . وفي ايامنا هذه وقت زيارة ريفواير فإن وضع كوا وموزمبيق على الساحل الغربى لافريقيا ، احسن دليل على هذا التحليل وهو ينطبق ايضا بدون شك على الغزاة البرتغاليين في مسقط الذين ارتبطوا بعلاقات مع نساء البلد وانصهروا مع العوائل المحلية ومن هذا الجانب يمكن القول انهم اصبحوا لا يشكلون سوى شيء واحد ويتوجهون بروح واحد ويرتبطون بمصالح واحدة وهذا يفسر نهاية الاحداث والثورة التى جرت تباعا بدون زلزال وضجة في حدود ١٦٤٨ وتم اخراج البرتغاليين من ذلك الموقع العظيم الهائل .

والواقع ان هذا التحليل لا ينطبق على مسقط لأن الذين اخرجهم كان ثورات عرب عمان المتتالية كما لم يظهر أى أثر سواء من ناحية الاسماء او لون البشرة في مسقط يدلل على اندماج البرتغاليين مع السكان العرب الاصليين .

## ● فرنتانيه (ف) ، رحلة داخل الهند وداخل الخليج من خلال مصر والبحر الاحمر ، القسم الاول ج ١ باريس ١٨٤٤ .

عندما زار فرنتانيه هرمز أعطى وصفا للبيوت المتبقية منها فذكر : ( لاحظت بأن آثار السكان الاقدمين التى توضح حتى الان خارطتها مماثلة للبيوت البرتغالية الصغيرة فى بومباى وتشابه بشكل كامل تلك التى فى كوا ) ويقول ان العمليات التجارية التى كان يقوم بها البرتغاليون في الخليج كانت تتم بأسلوبهم حيث أنهم كانوا يبيعون البضائع باستخدامهم فاتورات.

## ● المصادر الفرنسية فى القرن العشرين والغزو البرتغالي للخليج العربي :

تتنوع المصادر الفرنسية التى تناولت الغزو البرتغالي للخليج العربي فى القرن العشرين، فمنها اطروحات جامعية واخرى كتب عامة غير أنها جميعا تناولت الموضوع بشكل ثانوى كما هى الحال مع المصادر في القرون السابقة ، وسيتم تناولها حسب قدم سنة طبعها .

## ● روبير ( د. ) التنافس الانجلوفرنسى فى القرن التاسع عشر في آسيا باريس ١٩٠٨ .

يشير روبير الى أن عرب الخليج كانت لهم الهيمنة الملاحية فى المحيط الهندي ، وسفنهم تذهب من البصرة ومسقط الى كلكتا وجزر الهند وسيلان وزنجبار واضعين افريقيا واسيا فى علاقة تجارية ، وقد قاد البرتغاليون ضدهم حربا شرسة وبدون رحمة .

## ● هوارت ( س. ) تاريخ العرب ج . ٢ باريس ١٩١٣ :

يتناول هوارت دور ناصر بن مرشد

في طرد البرتغاليين وسيطرته على جلفار (رأس الخيمة ) التى كانت تدافع عنها حامية مشتركة من الفرس والبرتغاليين . ونجح فى حصر البرتغاليين في قلاع صحار ومسقط اما مطرح فقد اجبر العرب الحامية المسيحية فيها على التسليم ببعض الشروط منها تسليم بعض المراكز العسكرية والتخلي عن التحصينات الخارجية في مسقط وحرية التجارة على الساحل وفى النهاية حرر ناصر بن مرشد صحار (عدا القلعة ) وقريات واكمل ابن عمه سلطان بن سيف عمليات التحرير فاخرجهم من مطرح وصحار ومسقط وعندما يستعرض عملية تحرير مسقط يبدو انه اعتمد نفس الرواية التى اوردها ريفواير لكنه يضيف بأن سفينتين برتغاليتين كانتا تتجولان في المناطق الغربية في وقت عملية الهجوم على مسقط وتحريرها صعد إليهما البحارة العرب مستخدمين السفن الصغيرة وأسروا أطقمهما واستولوا عليهما. وبعد هذا الانتصار الذي يسميه هوارت بالهائل لم يخش سلطان بن سيف ارسال سفن لمهاجمة الممتلكات البرتغالية فى الهند على سواحل كجيرات وديو ورامان وربح غنائم كثيرة ومنها يمكن ملاحظه مزهريات الذهب والفضة ويذكر ايضا هوارت العمليات البحرية العمانية في سواحل شرق افريقيا .

**● كاجر ( فيروز ) سلطنة عمان ، باريس ١٩١٤ (في الاصل اطروحة دكتوراه جامعية ) .**

يتناول كاجر بناء القلاع فى مسقط من قبل البرتغاليين واستعمالهم القوة فى الاحتلال والشروط التى فرضوها على السفن التى تمربهرمز ودور ناصر بن مرشد فى التحرير ، واكمال سلطان بن سيف لذلك الدور وانهاؤه للاحتلال البرتغالي ، لكنه يعتمد نفس رواية ريفواير وهوارت فى طردهم من مسقط ويذكر ايضا مهاجمة المستعمرات البرتغالية .

**● كاميرا (أ.) ( البحر الاحمر ) الحبشه والجزيرة العربية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، القاهرة :**

يركز كاميرا على المعارك البرتغالية العثمانية البحرية فى المياه العربية ويبدأ ببيرى ريس الذي جمع من السويس ٣٠ سفينة وابحر باتجاه المحيط الهندى في عام ١٥٥١ وبصحبته قوة مؤثرة تتكون من ١٦٠٠ رجل ويشرح فشل العثمانيين بقيادة مراد امام البرتغاليين . فى محاولة استرجاع البواخر العثمانية الباقية فى البصرة وفرار السفن العثمانية الى وسط الخليج واخيرا يذكر المحاولة الثالثة للعثمانيين لانقاذ المتبقى من سفنهم فى البصرة .

● فاروقي ( أ. ) ، تاريخ مملكة هرمز منذ نشأتها ) بروكسل ١٩٤٧ :

يبين فاروكى اهمية هرمز وموقعها لهيمنتها التجارية على الملاحة فى الخليج العربي والمحيط الهندى وكان ذلك بسبب احتلال البرتغاليين لها ، فموقع هرمز بين شبه الجزيرة العربية وفارس والاناضول اعطاها اهمية استراتيجية كبيرة واقام فيها البرتغاليون قاعدتهم البحرية الرئيسية كما اصبحت المركز الرئيسي لتجارتهم ، وهي ايضا نقطة لشحن البضائع الثمينة واعتبر البرتغاليون هرمز موضع فخرهم وكبريائهم حتى قالوا : (اذا كان العالم حلقة من ذهب فهرمز ماسته ) وهكذا لم يكن من قبيل المصادفة اذا اعتبر المؤرخون البرتغاليون هرمز مفتاح المحيط الهندي .

● تاد حباكاش ( غلام رضا ) ( مسألة جزر البحرين ) في الأصل اطروحة دكتوراه جامعة السوربون ) باريس ١٩٦٠ :

ما يخص الغزو البرتغالي ف اطروحة (تاد) ، تناول هرمز واحتلال البرتغاليين لها وادراكهم لاهميتها وينتقل الى الاحتلال البرتغالى للبحرين عام ١٥٢١ بعد الغزو الذي قام به القائد البرتغالي انتونيو كوريا ونزوله لاول مرة بالجزيرة ، ويرى تاد ان السياسة البرتغالية فى هذه المناطق المحتلة قائمة على القوة ، وينتقل بعد ذلك الى وصف الاسطول البحرى العثماني الذي هاجم البرتغاليين في البحرين عام ١٥٥٩م فتعاون الفرس والبرتغاليون عام ١٦٠٢ . وفى النهاية يشير الى طرد البرتغاليين النهائي من الخليج على يد عرب عُمان.

د . صادق ياسين الحلو
جامعة بغداد ـ كلية التربية
قسم التاريخ